زوائد المؤلفات على

كتب المنهج الدراسي الميسر

رسالة شرعية عالمية

معهد المنهج الدراسي الميسر

من الصف الأول إلى الثاني عشر

خطب ومواعظ

الحوار في ذم الثأر

تأليف

أبي عبد الله محمد المصنعي

غفر الله تعالى له


رسالة شرعية عالمية
معهد المنهج الدراسي الميسر
من المستوى الأول إلى الثاني عشر

(٣٧)

* الحوار في ذم الثأر[١] *

(الخطبة الأولى)

الحَمْدُ لله رَبِّ الْعَالَمِينَ، الحكمِ الحقّ، نَحْمَدُهُ تَعَالَى حَمْدًا نعمةِ الإسلامِ والأُخوَّةْ، ونعوذُ بِهِ تعالى من أخلاقِ الجاهليةْ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، الناصحُ الأمينُ، والمصلحُ الكريمُ، صَلَوَاتُ رَبِّي وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ. أَمَّا بَعْدُ:

معاشرَ المسلمينَ! اِعلَمُوا أنَّ الإسلامَ دينُ الخيرِ كلِّهِ، وأن العاداتِ التي اخترعها الناسُ مما خالفَ الإسلامَ محنةٌ وفِتنةٌ، قَالَ رَسُولُ الله ﷺ، «إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ أَذْهَبَ عَنْكُمْ عُـبِّـيَّةَ الجَاهِلِيَّةِ، وَفَخْرَهَا بِالْآبَاءِ، فَالنَّاسُ رَجُلَانِ: مُؤْمِنٌ تَقِيٌّ، وَفَاجِرٌ شَقِيٌّ، أَنْتُمْ بَنُو آدَمَ، وَآدَمُ مِنْ تُرَابٍ». عُبِّيَّةُ الجَاهِلِيَّةِ: كبرُها وفخرُها وتعاظمُها. فما بالُ بعضِ الناسِ يثيرُ الفتنَ بين القبائلِ تحت حجةِ الثأرِ.

---

(١) كانت في عام ١٤٤٧ هجرية، شبوة.

فإنْ قالَ: أنا أنصرُ صاحبي؟

فالجواب: انصرْهُ بالحقِّ فقط، فلا يجوزُ لك أن تنصرَهُ بالباطلِ، واسمعْ الوعيدَ في التعصبِ الباطلِ: قال ﷺ: (وَمَنْ خَاصَمَ فِي بَاطِلٍ وَهُوَ يَعْلَمُهُ، لَمْ يَزَلْ فِي سَخَطِ اللهِ حَتَّى يَنْزِعَ عَنْهُ).

فإن قال: قبيلةُ القاتلِ أو المعتدي وقفوا مع صاحبِهم، وأنا أقفُ مع صاحبي؟

فالجواب: نعم تقفُ معهُ بالحقِّ، لا بالطرقِ الجاهليةِ والثارات.

فإن قال: وكيف أنصرُه بالحقِّ؟

فالجواب: بالطرقِ الشرعيةِ، كرفعِ شأنِ المعتدي إلى الدولةِ ونحوها، والمطالبةِ بإقامةِ حدَّ اللهِ تعالى عليه.

فإن قال: الدولةُ لا تهتمُ بإنجازِ القضايا بسرعة؟

فالجواب: إثارةُ الفتنةِ بين القبائلِ أطولُ وقتًا، وأكثرُ خسارةً، فرب قبائلَ دام القتالُ بينهم سنواتٍ، وربما عشرات السنوات، لا تتعجلْ، فالعجلةُ أمُّ النداماتِ، وقد

قال الله تعالى: ﴿وَاصْبِرْ حَتَّى يَحْكُمَ اللهُ وَهُوَ خَيْرُ الحَاكِمِينَ﴾، وقال: ﴿وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ﴾.

فإن قال: ربما يهربُ القاتلُ ولا حلَّ إلا أن نقتلَ أحدَ القبيلةِ، لأنهمُ السبب؟

فالجواب: هذا لا يجوزُ في دينِ الإسلامِ، فإياكَ أن تكونَ موصوفًا بجاهلية أبي لهبٍ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لَيْسَ مِنَّا دَعَا بِدَعْوَى الجَاهِلِيَّةِ» متفق عليه، وقال: «وَمَنْ قَاتَلَ تَحْتَ رَايَةٍ عِمِّيَّةٍ يَغْضَبُ لِعَصَبَةٍ، أَوْ يَدْعُو إِلَى عَصَبَةٍ، أَوْ يَنْصُرُ عَصَبَةً، فَقُتِلَ، فَقِتْلَةٌ جَاهِلِيَّةٌ»، واسمع على هذا الحديث العظيم: قال ﷺ: (وَإِنَّ مِنْ أَعْتَى النَّاسِ عَلَى اللهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.. رَجُلٌ قَتَلَ غَيْرَ قَاتِلِهِ، وَرَجُلٌ أَخَذَ بِذُحُولِ أَهْلِ الجَاهِلِيَّةِ). حديث صحيح رواه أحمد وغيره، وذُحُولُ أَهْلِ الجَاهِلِيَّةِ: هي الثارات.

فإن قال: قال الله تعالى: ﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ﴾؟

فالجواب: هذا صحيحٌ، وهو دليلٌ على أنهُ لا يقتلُ إلا القاتلَ؛ لا تقتلُ قريبَهُ ولا صاحبَه، فافهمْ كلامَ الله تعالى، فإن قتلتَ غير القاتلِ فالويلُ لكَ من لقاءِ الله تعالى: ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا﴾، أترضى بهذا لنفسِك من أجلِ طاعةِ الشطانِ، والتعجلِ المذموم.

قال ابنُ قدامةَ رحمه اللهُ تعالى: أجمعَ المسلمون على تحريمِ القتلِ بغيرِ حق.

فإن قال: حتى لو تركتُ أنا فأصحابي لن يتركوا؟

فالجواب: ابدأ بنفسِك، ثم ناصحْ غيرَكَ، وكلُّ شخصٍ سيقفُ أمامَ اللهِ تعالى وحدهُ، فلا تحتجْ بفلانٍ ولا علانٍ، صاحبُك من نهاكَ عن الشرِّ، وأما عوينَ الفتنةِ فهو عدوُّكَ بعدَ الموتِ: ﴿الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ﴾.

فإن قال: تركُ القاتلِ يشجعُ الناسَ على القتلِ؟

فالجواب: لن يشجعَهُ ما دامَ وأنهُ مطلوبُ للعدالةِ، بل هذا يقطعُ الفتنَ ويسدُّ بابَ الثاراتِ الجاهليةِ، وتأملْ هذه الآية: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾، قال الشوكاني رحمه الله تعالى: جَعَلَ اللهُ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةً، وَنَكَالًا، وَعِظَةً إِذَا ذَكَرَهُ الظَّالِمُ الْمُعْتَدِي كَفَّ عَنِ الْقَتْلِ.

وقال: هَذَا الْحُكْمِ الَّذِي شَرَعَهُ اللهُ لَكُمْ حَيَاةٌ، لِأَنَّ الرَّجُلَ إِذَا عَلِمَ أَنَّهُ يُقْتَلُ قِصَاصًا إِذَا قَتَلَ آخَرَ كَفَّ عَنِ الْقَتْلِ، وَانْزَجَرَ عَنِ التَّسَرُّعِ إِلَيْهِ وَالْوُقُوعِ فِيهِ، فَيَكُونُ ذَلِكَ بِمَنْزِلَةِ الْحَيَاةِ لِلنُّفُوسِ الْإِنْسَانِيَّةِ.

وهذا بخلافِ الثاراتِ فإنها لا تكادُ تقفُ، فهو قتلٌ يؤدي إلى قتالٍ، أما حكمُ الله تعالى فيؤدي إلى تركِ القتلِ والقتال. وأستغفر الله العظيم.

(الخطبة الثانية)

الحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وَلَا نَظِيرَ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الْكَرِيمُ، صَلَوَاتُ رَبِّي وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ. أَمَّا بَعْدُ:

أيها الناسُ، اليومُ دنيا وغدًا موتٌ وحسابٌ، وجنةٌ ونارٌ، فانظرْ لنفسِكَ مخرجًا من النارِ، فإن العاقلَ الحليمَ من يشاورُ ينظرُ في عواقبِ الأمورِ، وإن الطائشَ اللئيمَ من يغضبُ فيعميهِ الغضبُ عن الصوابِ ويقعُ في المحظورِ.

فإن قال قائل: مع أصحابِك على الخطإِ ولا وحدَكَ مصيبٌ؟

فالجواب: هكذا قال أهل الجاهلية عبدة الأصنام، قال أحدُهم:

قومٌ إذا الشَّرُّ أبْدَى ناجذَيْهِ لهم ... طاروا إليه زَرَافاتٍ ووُحْدَانَا

لا يسألونَ أخاهُمْ حينَ يندبُهُمْ ... في النائباتِ على ما قال بُرْهَانَا.

هكذا قال أهلُ الجاهليةِ، عصبيةٌ بلا عقلٍ، وأما اللهُ تعالى فقال: ﴿إِنَّ اللهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾، والعدل في القصاصِ عبر المحكمةِ كما شرعَ الله تعالى.

ثم اعلمْ يا هذا أن الواقعَ أنكَ لو اختلفتَ مع صاحبِكَ حملتَ السلاحَ عليهِ وانتهى الصَّحَبُ الذي بينكُم، وتقاتلتِ القبيلةُ الواحدةُ بينها، وهذا من آثار العصبيةِ الجاهليةِ تفرقُ أصحابَها. هذا في الدنيا، وفي الآخرة اسمعْ ما يقولُ الله تعالى: ﴿يَوَدُّ الْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ * وَصَاحِبَتِهِ وَأَخِيهِ * وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي تُؤْوِيهِ * وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنْجِيهِ﴾، انتهى الصحبُ المبني على باطلٍ.

فإن قال: مشايخُنا هم الذين يطلبونَ منا الجريَ وراءَ الثأر؟

فالجواب: اعلم أن اللهَ تعالى أحقُّ أن يطاعَ، قال ﷺ: « لَا طَاعَةَ لِمَخْلُوقٍ فِي مَعْصِيَةِ اللهِ»، ولكن ناصِحْهُم بأن يحكموا بما أنزلَ اللهُ تعالى، وأن يراقبوا اللهَ تعالى فيمَن تحتَ أمرهم، قال ﷺ: «مَا مِنْ أَمِيرٍ يَلِي أَمْرَ الْمُسْلِمِينَ، ثُمَّ لَا يَجْهَدُ لَهُمْ، وَيَنْصَحُ، إِلَّا لَمْ يَدْخُلْ مَعَهُمُ الْجَنَّةَ» رواه مسلم، فياويلَ من يحركُ الفتنَ بمثلِ هذه العاداتِ المنكرة، وربُّنا جل وعلا يقولُ: ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾، ويقول: ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾. هذه عاداتٌ طاغوتيةٌ لا يجوزُ لمسلمٍ أن يصدقَ الشيطانَ فيها.

فإن قلت: فإن كانَ القتالُ معَ آخرينَ فكيفَ يكونُ لي موقفٌ مُشَرَّفٌ؟

نقول: أولًا: لا تشاركْ في الفتنةِ معهم، وهذه أولُ السعادةِ والنجاةِ، عَنِ الْمِقْدَادِ بْنِ الْأَسْوَدِ رضي الله عنه، قَالَ: لَقَدْ سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ السَّعِيدَ لَمَنْ جُنِّبَ الْفِتَنَ، إِنَّ السَّعِيدَ لَمَنْ جُنِّبَ الْفِتَنِ، إِنَّ السَّعِيدَ لَمَنْ جُنِّبَ الْفِتَنُ، وَلَمَنْ ابْتُلِيَ فَصَبَرَ فَوَاهًا».

ثانيًا: تسعى بالصلحِ وتُذَكِّرهم باللهِ تعالى، وحسابِهِ، وحرمةِ الدماءِ، وواجبِ الأخوةِ، والصبرِ، وطلبِ الحقِّ عن طريقِ الشرعِ، وتحذرُهم من هذه الطرقِ العمياءِ التي تنتهي بأهلِها إلى ظلماتِ الدنيا والآخرةِ، وما تسببُه من شرورٍ وقطعٍ للمصالحِ، وحرمانٍ من الأمنِ والمعايشِ، وغير ذلك. قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾.

ثالثًا: إبلاغُ السلطةِ والأمنِ إذا لم يستجيبوا لكَ، ودعوةُ المصلحينَ لإعانتِك، ولا تيأسَنَّ، فإن الله تعالى في عونكَ، ﴿إِنَّ اللهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾.

رابعًا: لا تشاركْ ولا ترضى بالحكمِ بغيرِ ما أنزلَ اللهُ تعالى، فإن هذا أشدُّ فتنةً وضررًا على الفردِ والمجتمعِ، ويصلحُ الناسَ في العاجلِ والآجل مثل حكم الله تعالى: ﴿فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾.

خامسًا: على الدعاةِ والخطباءِ بثُّ الوعيَ في المجتمعِ قبلَ نزولِ هذه المصائب، فالوقايةُ خيرٌ من العلاجِ، وحتى يسمعُ الناسُ والأطفالُ والرجالُ والنساءُ بخطر الشرِّ قبلَ تجرُّعِ غُصَصِهِ، ونشرُ هذا في كتبِ المدارسِ وغيرِها.

ختامًا: على الدولةِ الحرصُ على تطبيقِ شرعِ الله تعالى، ومعاقبةُ القضاةِ الذين يماطلونَ في قضايا الناسِ، ويستنزفون أموالَـهم بالرشوات السنينَ الطوال.

وعلى أهلِ المقتولِ رفضُ أي عصبيةٍ من قبيلتِهم، بل يطلبونَ منهمُ الوقوفَ بالحقِّ.

وعلى قبيلةِ القاتلِ أن يقفوا ضدَّ القاتلِ، ويسلموهُ للعدالةِ، ولا يفتحوا بابَ الشر.

والله المستعان.

نسألُ اللهَ تعالى التوفيقَ وصلاحَ الحالِ للجميعِ. وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وآله وصحبه.

